التعددية الدينية عند إخـوان الصفـاء

الدكتور مهدي طه مكي جامعـــــة بابـــل
كلية الاداب

1- معنى التعددية :

إن كلمة (Plural) تعني الكثرة، والتعدد، والبلورالية (Pulralism) أي التعددية: هي المذهب الذي يميل إلى الكثرة والتعدد [1]، أو هي الاعتراف برسمية التعدد والتنوع في الثقافات والأديان واللغات والتجارب البشرية [2]، وهي نظرية معاصرة تنهض على أساس رفض التنابذ والتخالف، وتسعى إلى إيجاد صيغة تآلفية تسمح بالانسجام بين الأديان والمذاهب المختلفة، فالتعدد هو الكثرة والتعددية هي القبول بهذه الكثرة.

2- إن ظاهرة التعدد والتكثر مسألة طبيعية، فإن مظاهر التنوع والتعدد موجودة في كل شيء حولنا في الأحياء: نباتاً أو حيواناً أو إنساناً، وفي الجماد: أرضاً وسماءً ومَاءً وموجودة بين البشر بدءاً بالاختلاف الخَلقي في البنية الجسدية والمظهر الخارجي من أبيض وأسود وضعيف وقوي وطويل وقصير أو في اللسان واللغة وانتهاءً بالاختلاف الفكري والثقافي والسياسي والاقتصادي والديني والاجتماعي [3].

3- إن اصطلاح البلورالية(التعددية) مستمد من الثقافة الغربية، فقد كان متداولاً في البداية في العرف الكنسي، بحيث أنهم كانوا يطلقون كلمة البلورالية بحق ذلك الشخص الذي يمتلك عدة مناصب كنسية، بيد أن هذا الاصطلاح قد اكتسب مدلولاً معاصراً آخر في الميدان الثقافي وصار يعني في المجال الفكري والديني ضرورة

تقبل العقائد والمناهج المختلفة. فبعد اتساع مجال الارتباط بين المجتمعات المختلفة لاسيما بعد الحروب الدينية والمذهبية الشديدة (كالحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين والحروب بين أتباع المسيحية أنفسهم والتي ما تزال مستمرة حتى اليوم بين الكاثوليك والبروتستانت سيما في ايرلند ا...) وبعد الآثار السيئة جداً التي خلفتها هذه الحروب، بعد كل ذلك تعزز الاعتقاد بضرورة الاعتراف بالمذاهب الأخرى والدخول في مرحلة السلم معها وبصورة تدريجية أخذ مصطلح (البلورالية) أو التعددية يكتسب مضموناً فلسفياً فيما بعد، فصارت التعددية تعني القبول بالتعدد والكثرة في أي مجال فكري أو ثقافي، ومن هنا كانت هناك تعددية دينية وتعددية سياسية وتعددية اجتماعية وتعددية فنية وهكذا [4].

4- على الرغم من ان فكرة التعددية تعد فكرة حديثة من الناحية اللفظية، بيد أنها ذات جذور كثيرة في التاريخ الفكري، ليس على صعيد الفكر الإسلامي فحسب، بل على نطاق الفكر البشري عامة، فقد ظهرت هذه الفكرة في الدعوة الإسلامية من خلال مبدأ " لكم دينكم ولي دين " والاعتراف بأهل الكتاب والاختلاف بالرأي "وجادلهم بالتي هي أحسن" [5] " وقل الحق من ربكم فمن شاء فيلؤمن ومن شاء فليكفر"[6] و"لا إكراه في الدين " [7]، فإن المفهوم الديني لم يكن بعيداً عن معنى التعددية الذي أبرزه المعتزلة من خلال علم الكلام، وأخوان الصفاء من خلال تأكيدهم على وحدة الحق في الأديان وهي فكرة مستمدة من القرآن الكريم الذي أكد على الحق في اليهودية والمسيحية باعتبارهما من الله تعالى [8]، والصوفية لهم كلام كثير وجميل في وحدة الأديان والتعددية الدينية ومن ذلك قول العارف الصوفي الكبير محي الدين بن عربي:-

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعىً لغزلان وبيت لأوثانِ
ودير لرهبانٍ وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت ركائبه أرسلت ديني وإيماني (9)

5- يعد الفيلسوف المسيحي (جون هيك) من أبرز المنظرين للتعددية الدينية في القرن الحالي، الذي بفضل جهوده شاعت التعددية الدينية خلال العقود الأخيرة، وفي الساحة الإسلامية يعد الدكتور عبد الكريم سروش أبرز من نادى بالتعددية الدينية في كتابه (الصراطات المستقيمة).

6- بعض النظريات ذات العلاقة بكثرة الأديان وكيفية التعامل معها: يبدو أنه من المفيد الإشارة إلى بعض النظريات التي تتضمن كيفية التعامل مع التعدد والكثرة في الأديان والمعتقدات.

أ- الانحصارية: تقوم هذه النظرية على إلغاء أو إقصاء الآخر، وترى ان الحقانية والهداية والسعادة تكمن في اتباع دين معين وان المخالفين والمنكرين لهذا الدين يتسمون بالعناد [10].

ب- التعايش السلمي: إن التعدد والكثرة في الأديان والمذاهب يجري قبولها كواقعة اجتماعية، إذ أنه ليس في مصلحة المجتمع أن يعمل كل طرف على إلغاء الآخر، بل المطلوب هو ان يكون هناك نوع من التعايش دون صيرورة الجميع شيئاً واحداً.

جـ- الشمولية: والتي تعني أن هناك ديناً واحداً جاء من الله تعالى، إلا أن له مظاهر متعددة، فالمسيحية واليهودية والإسلام، وكل الأديان ما هي إلا مظاهر لحقيقية واحدة.

د- التعددية : وتقوم هذه النظرية على أنه ليس هناك حقيقة واحدة، بل حقائق متعددة متكثرة، وهي جميعها حق وصواب، حتى ولو كانت متناقضة فيما بينها [11].

موقف الأخوان من الأديان التوحيدية

1- معنى الدين:

إن معنى الدين لغةً عند الاخوان : هو الطاعة من جماعة لرئيس واحد. أو هو الطاعة من جماعة لرئيس يُنتظر منه نيل الجزاء [12].

وهذا المعنى للدين نجده أيضا في المعاجم اللغوية، فيذكر إن (الدَّين) بالفتح يأتي بمعنى الاقتراض (القرض ذو الاجل) و(الدِّين) بالكسر يأتي بمعنى الطاعة وبمعنى الجزاء والمكافأة أيضا [13]. ففي الدين هناك كائن أعلى صاحب سلطان وقدرة يُدين له الفرد بالطاعة والعبادة والخضوع.

أما معنى الدين من الناحية الاصطلاحية فيمكن استنباطه من تفسيرهم لمعنى الطاعة. يقول الاخوان: الطاعة هي الانقياد لأمر الآمر ونهي الناهي [14]. ولما كانت الطاعة لا تتبين إلا بالأوامر والنواهي، والأمر والنهي لا يُعرفان إلا بالأحكام والحدود والشرائط في المعلومات، سُمّيت هذه كلها شريعة الدين وسنن أحكامه. ولما كان الإنسان هو جملة مركبة من جسد جسماني ، ظاهر جليٍّ، ومن نفس روحانية باطنة خفية، صارت أحكام الدين والإسلام وحدود الشريعة على وجهين: ظاهر وباطن، والظاهر هو أعمال الجوارح والباطن هو اعتقادات الأسرار في الضمائر ، وهو الأصل كما قال النبي ﷺ (الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى) [15].

فالدين شيئان: احدهما هو الأصل وملاك الأمر وهو الاعتقاد في الضمير والسر، والآخر هو الفرع المبني على القول والعمل في الجهر والإعلان [16]، أي ان في الدين جانبين: احدهما نظري يتمثل في الاعتقادات وآخر عملي يتمثل في الشريعة.

وهذا المعنى قريب من الاستعمالات المعاصرة للدين، ومن ذلك قول دور كهايم " ان الدين نظام موحد من المعتقدات والممارسات تجاه الأشياء المقدسة" . أو هو نظام متماسك لاعتقادات وسلوكيات تتصل بالأمور المقدسة[17].

أي ان الدين مجموعة من المعتقدات والشعائر العبادية والقواعد الاصلاحية والمعتقدات عند الاخوان: هي الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبالنبوة والملائكة والمعاد يوم القيامة.

أما الشرائع : فإنها ترتبط بالعقائد، لأنها عبارة عن أحكام وحدود وأوامر ونواهٍ، يأخذها الناس عن النبي والنبي عن طريق الوحي . وهذه الأوامر والنواهي تتعلق بالعبادات من جانب وبالسلوك الإنساني بشكل عام من جانب آخر.

ويعتقد اخوان الصفاء ان هناك طريقين للتفقّه في الدين: أحدهما يتعلق بالجانب النظري، أي العقائد والآخر يتعلق بالجانب العملي أي الشرع.

أحدهما: الاستبصار والمشاهدة بعين البصيرة واليقين بعد تأمل شديد للمحسوسات، ودقة نظر في المعقولات ودراية بالرياضيات وبحث عن القياسات. والآخر: هو الطاعة وهو الانقياد من المأمورين، والمرؤوسين للآمرين والناهين [18]. والطاعة تقوم على الإيمان.

ومعنى الإيمان عند الاخوان: هو التصديق بما يخبر به المخبر [19]. أي هو الاقرار بما جاء به الأنبياء والتصديق به، والإيمان يورث العلم، لأنه متقدم الوجود على العلم، ومن اجل هذا دعا الأنبياء (عليهم السلام) ، الأمم إلى الاقرار أولاً بما أخبرتهم والتصديق بما كان غائباً عن إدراك حواسهم وتصور أوهامهم، فإذا اقرّوا بألسنتهم، سمّوهم عند ذلك المؤمنين، ثم طالبوهم بتصديق القلب، كما ذكر الله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [20] فالإيمان أولاً ومن ثم تأييد هذا الإيمان بالمبادئ العقلية.

وعلى ضوء ذلك جاء قول الاخوان " وأعلم أنك محتاج إلى الإيمان والتصديق لقول المُخبر لك الذي هو فوقك في العلم وأعلى منك في المعارف، لأنك إن لم تؤمن بما يخبرك به حرمت اشرف العلوم، وأجل المعارف، وتعلم أنه ليس لك طريق إلى تصديق المُخبر لك في أول الأمر، إلا حُسن الظن بصدقه ، ثم على ممر الأوقات تتبين لك حقيقة ذلك، فلا تطالبه بالبرهان في أول الأمر"[21].

هذا يعني انه علينا أن نؤمن بما يُخبرنا به الأنبياء لأنهم أعلى منا في العلم والمعرفة ونحسن الظن بهم ولا نطالبهم بالأدلة العقلية على ما يقولون وما يخبرونا به.

فإن الاخوان يؤكدون على ان الإيمان أولاً ثم تعقل ما نؤمن به، ولا يكون هذا الإيمان تقليدياً يقوم على الأخذ من الآباء أو التأثر بما يؤمن به الآباء أو الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد. لذلك يقولون: " اجتهد في ان تتصور في فكرك ما تسمع بأذنك، ثم اطلب السبيل والبرهان بعد ذلك ، ولا ترضى بالتقليد إذا توسطت في العلم، ولا تطلب البرهان في أوله"[22].

2- الدين واحد والشرائع متعددة:

يعتقد اخوان الصفاء انه لا توجد اختلافات في العقائد بين الأديان، وخاصةً الأديان التوحيدية، وإذا كان بينها اختلاف فاختلافها في الشرائع فقط فإن الأديان متفقة في العقائد أو الأصول ومختلفة في الشرائع.

ومن هنا جاء قولهم: " دين الأنبياء واحد، ومسلكهم جميعاً مسلك واحد، ومقصدهم واحد وغرض واحد، وإن اختلفت شرائعهم" [23].

إن الشرائع في نظرهم متعددة بتعدد الأنبياء وبتعدد البيئات التي يوجد فيها هؤلاء الأنبياء، الذين لا يختلفون فيما يعتقدون من الدين سراً وعلانية ولا في شيء منه البتة، كما قال تعالى: ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيه﴾[24] . أما الشرائع التي هي أوامر ونواه وأحكام وحدود وسنن فهم فيها مختلفون، كما قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [25] وقوله:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [26].

فلكل زمان شريعة تختلف عن سابقتها، أراد الله ذلك ليبين للناس ان الزمان متغير ومتبدل ولكل عصر شريعة خاصة به، فالله تعالى خلق الزمان وخلق الشرائع وأرسل الرسل، كلٌ يبشر في زمانه، بما يلائم عصره، والكل يوحد الله، فالنتيجة من كل الشرائع تعود إلى فكرة واحدة مهما اختلفت حيثياتها وأبرزها الاتجاه نحو الله تعالى[27].

هذا يعني أن المشكلة تكمن في فروع الدين، لأن النظام التشريعي يخضع للحاجات البشرية، ويأتي استجابة لحاجات الناس، وعندما تتغير لابد من ان يتغير

القانون، ومن هنا جاء النسخ، يقول الاخوان " ان الذين أنكروا نسخ الشرائع... لم يعرفوا الفرق بين الدين والشريعة" [28]. إن الله تعالى ينسخ الحكم الذي انتهى أمده واستنفذ غرضه.

نلاحظ مثلاً ان المسيح عليه السلام وصف الجنان ونعيم أهلها بأوصاف غير جسمانية، لأن خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة وكتب الأنبياء، وكتب الحكماء أيضاً، وأما سيد الأنبياء وخاتم المرسلين ﷺ فقد اتفق مبعثه في قوم أُميين من أهل البوادي غير مرتاضين بالعلوم فجعل أكثر الجنان في كتابه جسمانية ليقرّبها من فهم القوم وليسهل تصورها عليهم وترغب نفوسهم بها[29].

وقد عدّ القرآن الكريم الدين واحداً والشرائع متعددة وأمر جميع الأنبياء بتبليغه، ولم يحدث مجيء الأنبياء أي تغييرٍ أو اختلافٍ فيه، لهذا لم يرد لفظ الدين في القرآن ا إلا بصيغة المفرد، ولم يرد بصيغة الجمع، فالدين واحد لا يقبل الكثرة وحقيقته (التسليم لله تعالى) صاحب السلطة والحاكمية والخلق والربوبية[30].

<u>على ضوء ما تقدم يمكن أن نذكر ما يأتي:</u>

أولاً- يبدو أن تأكيد الاخوان على ان (الدين واحد والشرائع متعددة) يتعلق بالأديان التوحيدية، كما أنزلت على الأنبياء عن طريق الوحي، لكنه لا ينطبق على هذه الأديان كما هي في الواقع بعد تحريفها، وخاصةً في الأمور العقائدية، لأن الدين

واحد في العقائد ومتعدد ومختلف في الشرائع. فهناك طائفة من العقائد في بعض الأديان محرفة وسوف يكون الجمع بينها غير معقول.

فالمسيحيون مثلاً يعتقدون بالتثليث ويجعلون الله ثالث ثلاثة، وهذه المسألة تناقض عقيدة التوحيد، وكذلك الخلاف بين المسيحيين والمسلمين حول حادثة صلب المسيح، هل مات عيسى حقاً على الصليب أم لم يمت.وان صلب المسيح من الأركان الضرورية للديانة النصرانية في نظر الأكثرية الساحقة من المسيحيين، ويرفض المسلمون حادثة الصلب باعتبار ان الله كذبها مباشرةً. فالاختلافات حصلت لاحقاً وهي من صنع البشر أي من اتباع الديانات.

وهذه الموضوعات أكدها القرآن الكريم في بعض الآيات منها على سبيل المثال:

أ- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [31].

ب- ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[32].

ج- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[33].

ثانياً- ان الأنبياء متّحدون في أُمهات التعاليم وإن آيات القرآن تعلن ذلك صراحةً، نذكر منها:

أ- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [34].

ب- ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (35).

ج-﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (36).

ان الإسلام هنا ليس المقصود به ديناً خاصاً، وإنما التسليم لإرادة الله، حقيقة الدين لدى الله سبحانه، هي الإسلام، ويعني أصل الخضوع والتسليم لله في المعرفة والعمل، ولو بحثنا في الأديان الحقيقية فسوف نرى انه لا يوجد من ينكر اتحادها في الأصول الكبرى. لأنها جميعاً تدعو إلى الإيمان بالتوحيد والمعاد(37).

ثالثا- أما ما يتعلق بالحق والحقانية والخلاص بالنسبة لهذه الأديان، فسوف نتناوله لاحقاً.

ما هي أسبـــاب تعدد الشرائع؟

1-اختلاف الشرائع بحسب أهل كل زمان:

يعتقد الإخوان ان شرائع الأنبياء، وسننهم تختلف بحسب أهل كل زمان، وما يليق بهم أمة أمة وقرناً قرناً، مثل شريعة نوح عليه السلام في زمانه، وشريعة إبراهيم عليه السلام في زمان آخر، وشريعة موسى عليه السلام في زمان آخر، وشريعة المسيح عليه السلام في زمان آخر، وشريعة سيد الأنبياء محمد ﷺ في زمان آخر وقوم آخرين (38)، كما قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾(39)، فالله خلق الزمان وخلق الشرائع، وأرسل الرسل، كل يبشر في زمانه بما يلائم عصره والكل يوحد الله، يقول الإخوان : " لما كانت طبائع الناس مختلفة، وأخلاقها متغايرة، والنفوس يُعرض لها

أمراض مختلفة بحسب الزمان والأمكنة والطباع والأمزجة، والعادات، وكان واضعو النواميس هم أطباء النفوس ومنجموها... وغرض كلهم اكتساب الصحة وحفظ السلامة عليها من الآفات العارضة، فمن أجل هذا اختلفت مفروضاتهم وتغايرت سننهم حسب ما يليق بأمة أمة، وطائفة طائفة، من الناس، والأمم من المداواة لنفوسهم، والحمية لها من المحرمات عليهم كما يفعل أطباء الأجسام في العلاجات المختلفة بالبلدان المختلفة لأجل الأمراض المختلفة في الأزمان المختلفة[40].

2- علماء الكلام والمتنافسون على الرئاسة:

يعتقد إخوان الصفاء أن علماء الكلام والمتنافسين على الرئاسة لهم دور في اختلاف الشرائع وتعددها، فإن أصحاب الرئاسات استخدموا علماء الكلام بتأويل خاطئ لأقوال الرسولﷺ أعمالاً وأقوالاً لم يكن النبي ﷺ قد قالها أو فعلها ، وكان هذا التشويه الذي حصل للشريعة من قبل هؤلاء كان له غاية واحدة، وهي طلب الرئاسة، يقول إخوان الصفاء : " ان أصحاب الجدل والمناظرات، ومن يطلب المنافسة في الرياسة ، اخترعوا من أنفسهم في الديانات والشرائع أشياء كثيرة لم يأت لها الرسول ﷺ وما أمر بها وابتدعوها وقالوا للعوام من الناس : هذه سنة الرسول ﷺ وسيرته، وحسنوا ذلك لأنفسهم حتى ظنوا أن ما قد ابتدعوه حقيقة وان النبي ﷺ أمر به، وقد أحدثوا في الأحكام والقضايا أشياء كثيرة بآرائهم وقياسهم، وإنما فعلوا ذلك طلباً للرياسة[41].

3- تعدد اللغات وتباين المواليد:

يعتقد إخوان الصفاء ان من أسباب تعدد الديانات والمذاهب والاعتقادات هو تعدد اللغات وتباين المواليد(مكان الولادة) وتصور رؤسائهم وعلمائهم وأساتذتهم، الذين يختلفون فيما بينهم طلباً للمناصب والرئاسة في الدنيا، لأنه لو لم يقع بين رؤساء علمائهم الاختلاف لم تكن لهم رياسة، وكانوا شرعاً سواء، لأن أكثرهم متفقون في الأصول ، مختلفون في الفروع [42].

4- الحسد: يعتقد إخوان الصفاء أن الحسد هو من أكبر الأسباب في اختلاف الآراء والمذاهب، فالحسد كما يقولون : يُخرب الديار ويوقع الفتن ويورث البغضاء والحقد ... وهو أيضاً من أكبر الأسباب في اختلاف الآراء والمذاهب، وإذا اتخذ رجل مذهباً مال الناس إليه ورغبوا فيما عنده، فيراه آخر من أبناء جنسه فيحسده، ويجيل فكره ويُعمل رأيه إلى أن ينحت له من الحجج والكلام ما يُفسد به ما أورده [43].

فوائد تعدد الآراء والمذاهب والديـــانات

1- ان الاختلاف والتعدد يحث الجميع على ترك الرذائل واكتساب الفضائل لأنه يؤدي إلى كشف عيوب بعضهم لبعض، وذكر مساوئ بعضهم لبعض، ويكون في ذلك صلاح الكل [44].

2- ومن فوائد اختلاف الشرائع وتعددها، هو أن لا يكون أمر الدين ضيقاً حرجاً لا رُخصة فيه ولا تأويل، كما قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ .

3- يعتقد إخوان الصفاء ان في التنوع غنىً للمعرفة، لأن الاختلاف في رأيهم يؤدي إلى طلب المعاني الدقيقة والنظر في الأسرار الخفية واتساع في المعارف [45].

موقفهم من الأديان بشكل عام:

1-رؤيتهم للتعصب الديني والمذهبي:

أقر الاخوان في مواضع كثيرة من رسائلهم أنهم لا يفضلون مذهباً على مذهب، ولا يقدمون عقيدة على عقيدة، وان كل المذاهب عندهم سواء، وان من يستقرئ رسائل إخوان الصفاء، يستنتج من الوهلة الأولى عدم انتمائهم إلى أحد المذاهب الإسلامية المعروفة ((من شيعة أو معتزلة أو اسماعيلية أو قرمطية))[46].

ولو اعتنق اخوان الصفاء مذهباً معلوماً من مذاهب عصرهم، لما شهد أبو حيان التوحيدي بأن زيد بن رفاعة ورفاقه ((قد وضعوا فيما بينهم مذهباً))[47]، ولم ينسبهم إلى احد، ولو كان على دراية بصلتهم بإحدى الجماعات الفكرية أو الدينية أو السياسية، لما تردد في ذكر ذلك، لأن التوحيدي عاصر إخوان الصفاء، وعرف بعضاً من أعضائها البارزين [48]، فإنهم لا ينتمون انتماءً كاملاً إلى مدرسة معينة من المدارس الفلسفية اليونانية ولا إلى إحدى المدارس الفكرية السابقة عليهم أو المعاصرة لهم، ولا إلى إحدى الفرق الإسلامية المعروفة، إلا أنهم اخذوا من اغلب تلك المدارس والفرق ما اعتقدوه صواباً، ويتفق وتصورهم الذي حددوه للوصول إلى غايتهم المنشودة، وأضافوا إلى ذلك ما وصلوا إليه من آراء نتيجة أبحاثهم ودراساتهم وتأملاتهم وتجاربهم، فكان مذهبهم حصيلة كل ذلك وإنهم يقولون ((وبالجملة ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى، أن لا يُعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها...)) [49] .

وفي الرسالة الجامعة يوصي أحد رؤسائهم الجماعة ((بالا يهجروا كتاباً من كتب الحكماء، ولا مذهباً من مذاهب الأنبياء، ولا يبغضوا علماً من العلوم الحقيقية وان بعدت معانيها...)) (50).

وقد أقام الاخوان مذهبهم على أساس الجمع بين الشريعة والفلسفة ووضعوا الحكماء والكهنة في مصاف الأنبياء والرسل وجمعوا بين حكمة الأمم والديانات وأنبيائهم وحكمائهم، نوح وإبراهيم وسقراط وأفلاطون وزرادشت وموسى وعيسى ومحمد.

ومن أقوالهم في هذا الصدد " أيها الأخ البار الرحيم، .... إنا نحن، جماعة إخوان الصفاء، أصفياء وأصدقاء كرام، كنا نياماً في كهف أبينا آدم مدة من الزمان تتقلب بنا تصاريف الزمان ونوائب الحدثان، حتى جاء وقت الميعاد بعد تفرقٍ في البلاد في مملكة صاحب الناموس الأكبر، وشاهدنا مدينتنا الروحانية المرتفعة في الهواء... وهي التي أخرج منها أبونا آدم وزوجته وذريتهما لما خدعهما عدوهما اللعين وهو ابليس.... وقيل لهم: اهبطوا منها ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، .... فهل لك يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه، أن تبادر وتركب معنا في سفينة النجاة التي بناها أبونا نوح، عليه السلام .... أو هل لك يا أخي ان تنظر معنا حتى ترى ملكوت السموات التي رآها أبونا إبراهيم لما جَنّ عليه الليل حتى تكون من الموقنين، أو هل يا أخي أن تتم الميعاد، وتجيء إلى الميقات عند الجانب الأيمن حيث قيل: ياموسى، فيقضي إليك الأمر، فتكون من الشاهدين، .... حتى ترى الايسوع عن ميمنة عرش الرب قد قُرب مثواه.... أو هل لك ان تخرج من ظلمة اهرمن حتى ترى اليزدان قد أشرق منه النور في فسحة أفريحون؟ أو هل أن تدخل

إلى هيكل عاديمون ، حتى ترى الافلاك التي يحكيها أفلاطون.... أو هل لك أن ترقد من أول ليلة القدر، حتى ترى المعراج في حين طلوع الفجر، حيث أحمد المبعوث في مقامه المحمود فتسأل حاجتك المقضية لا ممنوعاً ولا مفقوداً [51]. هذا يعني ان مصدر الهداية عندهم (آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويزدان وأفلاطون) فقد جعلوا اليزدان واهرمن وعاديمون إلى جانب إبراهيم الخليل وموسى ومحمد ﷺ .

وأقروا بأنهم يدينون بالنظرة الكلية والعلم الجامع والمذهب الشامل فيقولون ((ولتعلم ان المسبعة الذين قد شغفوا بذكر المسبعات وتفضيلها على غيرها، إنما كان نظرهم جزئياً وكلامهم غير كلي، وكذلك الثنوية في المثنويات، والنصارى في تثليثهم، والطبيعيين في مربعاتهم، والخرمية في مخمساتهم، والهند في مسدساتهم، وليس هذا مذهب اخواننا الكرام... بل نظرهم كلي، وبحثهم عمومي، وعلمهم جامع ومعرفتهم شاملة))[52].

لقد جاءت رسائل اخوان الصفاء شاملة عامة طرحت الوحدة الكاملة دون ان تطرح الفئوية، وهذا الأمر الذي حير الباحثين في أمرهم مما دفعهم إلى نسبتهم إلى فئات أخرى غير الفئة التي كانوا ينتسبون إليها، فكم من باحث نفى عنهم الفئوية أو نسبهم لغير فئتهم الحقيقية، وذلك بسبب من عموميتهم، وطرحهم مسائل عندما يقرئها الإنسان أو يطلع عليها يظن أنهم يقصدون بذلك فئته، لأنهم أيضاً اقتربوا من كل الفئات وتحدثوا بعلومهم وأخذوا ما يناسب هذه العمومية[53] .

وقد رفض اخوان الصفاء التعصب إلى أي مذهب ، لأنهم يعتقدون ان التعصب هو آفة العقول، يعميها عن رؤية الحقيقة وعلى ضوء ذلك جاء قولهم ((ينبغي لمن يريد أن يعرف حقائق الأشياء، ان يبحث أولاً عن علل الموجودات وأسباب المخلوقات ، وان يكون له قلب فارغ من الهموم والغموم الدنيوية،.... ويكون غير متعصب لمذهب أو على مذهب، لأن العصبية هي الهوى والهوى يعمي عن العقل، وينهي عن إدراك الحقائق)) [54].

ويقول الاخوان في موضع آخر ((واعلم أيها الأخ انا لا نعادي علماً من العلوم، ولا نتعصب على مذهب من المذاهب، ولا نهجر كتاباً من كتب الحكماء والفلاسفة مما وضعوه وألفوه في فنون العلم، وما استخرجوه بعقولهم وتفحصهم من لطيف المعاني)) [55].

ما هو سبب التعصب في نظر الاخوان؟

يؤكد الاخوان أن نشأة الإنسان في بيئة معينة أو مجتمع معين لها دور كبير في تدين الإنسان بدين معين أو مذهب معين، ومن ثم التعصب لهذا الدين وهذا المذهب، لأن السنن عند قوم محمودة صالحة، لسبب نشوئهم عليها ودربتهم في طول الزمان، وجريان عاداتهم عليها، ويكون الدين معيوباً ومنكراً عند قوم آخرين، لأنهم نشأوا على غيرها، واعتادوا سواها، وألِفوا خلافها، لا بأن الدين معيوب وسنن الديانات قبيحة... [56] ، وهذا الكلام يؤكده فيلسوف التعددية الدينية (جون هيك) الذي يعتقد ان 99% من حالات التدين تشير إلى ان الدين الذي يلتزم به الفرد، يعتمد على المكان الذي يولد فيه، ولا دور لأي فرد في اختيار دينه[57].

فإن صدفة المولد في الزمان والمكان ،هي التي تحدد الدين الذي يراه صاحبه الدين الحقيقي والكامل والمتفوق ، الأمر الذي يعني ان عقيدة التفوق حاضرة في كل الأديان الكبرى، وان الإيمان بها يتم بالتصاحب مع نشوء وتربي الأتباع داخل هذه الديانات، يقول جون هيك: ((شخصياً كنت أنا من معتقدي البطليمية المسيحية، ولكن لو ولدت من عائلة هندوسية ملتزمة في الهند ودرست الفلسفة في مدارسها، كانت العقيدة البطليمية ستكون عندي هندوسية بدلاً من أن تكون مسيحية وكذا الأمر لو ولدت من عائلة مسلمة في مصر وهكذا... [58].

لذلك يعتقد الإخوان ان النشوء على مذهب، والتعصب له حاجزان كبيران يحولان دون قبول الحق، وعليه حثوا الشباب سالمي الصدور، المبتدئين بالنظر في العلوم، الراغبين في الآخرة، ان لا ينصتوا لدعوة المشايخ الهرمة، المتمكنين في باطلهم المتعصبين لمذهبهم [59] ومن أجل تحقيق السعادة ينصح الإخوان جماعتهم بأن يكون معلمهم ذكياً جيد الطبع... غير متعصب لرأي من المذاهب [60] وللتخلص من التعصب يدعو الإخوان إلى التعقل والتفكير فيما يؤمنون به، فعلى الرغم من أنهم يؤكدون على أنه ((علينا أن نؤمن بما يخبرنا به الأنبياء لأنهم أعلى منا في العلم والمعرفة ونحسن الظن بهم، لكن علينا أن نتعقل ما نؤمن به ، فلا يكون هذا الإيمان تقليدياً يقوم على الأخذ من الآباء دون تدبر وتعقل ومن هنا جاء قولهم " ... اجتهد في أن تتصور في فكرك ما تسمع بأذنك، ثم أطلب السبيل والبرهان بعد ذلك ولا ترضى بالتقليد، إذا توسطت في العلم، ولا تطلب البرهان، في أوله ...")) [61].

وإن الإنسان الذي نشأ على دين معين لا يرغب في تغييره وعلينا أن لا نلومه، لأن العقلاء كما يقول الإخوان : " مجبولون على أن لا يترك أحدهم ديناً أو

مذهباً قد نشأ عليه وأنس به، وقد اعتاد التعبد بطول الزمان على سنته، وأخذه على آبائه وشيوخه وأستاذيه، من غير أن يتبين له بطلانه وينكشف له عيبه، وهكذا لا يرغب أحد منهم في الدخول في دين أو مذهب لم تتبين له صحته، ولم تصح له حقيقته، ولا قامت عنده حجته، فلا تلم الناس على تمسكهم بدين آبائهم ومذهب أسلافهم " [62]، ولا يدعو الإخوان إلى عدم التعصب فقط، بل وإلى نبذ العنف أيضاً ولذا نجدهم يذمون اقتتال أهل الأديان والشرائع المختلفة وتكفير بعضهم بعضاً، وهدر دم بعضهم بعضاً، ويعلنون أن مذهبهم هو مذهب الرحمة والشفقة لكل الناس، وإذا كان هناك من يعتقد في دينه ومذهبه انه حلال له سفك دم كل مخالف له في مذهبه، مثل اليهود والخوارج، وكل من يكفر بالرب، فإن هؤلاء حالهم حال الحيوانات في الدنيا والعداوة بينها[63].

فإن من يتأمل أمور الدنيا يجدها كدار ملئت أجناس حيوانات تعادي بعضها بعضاً عداوة طبيعية، كعداوة البوم والغربان، وعداوة الكلب والسنانير وتحسد بعضها بعضاً كغلبة السباع والكلاب... وكذلك أهل الشرائع المختلفة يقتل بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، كما يفعل ... الجبرية والقدرية والخوارج ... وكذلك في المِلة العبرانية مثل العينية والسمعية، وفي المِلة السريانية كالنسطورية واليعقوبية وما بينها من خلاف، وكذلك في المِلة الصابئية [64]، أما مجاهدة الكفار فإن الإخوان يبررونه ، بأنه ليس لعداوة منهم للكفار، بل ليردوهم إلى الحق، ليكون المسلمون فارغي البال من كيدهم ونهبهم، ويقنعوا من الكفار بالجزية، إن لم يقبلوا الدين، لأنهم لا يأمنونهم إن تركوهم ولم يطالبوهم في بعض الأوقات بالجزية، فقد قيل في المثل : إن الروم إن لم تُغزَ غَزَّت، فهذا سبب قتالهم الكفار [65] ويذكر الإخوان حكاية تحمل في ثناياها

نقداً لاذعاً للتعصب وضيق الأفق عند اليهود، وبطلا الحكاية يهودي متعصب يرى أن بقية البشر من غير اليهود على ضلال ويحلل سفك دمائهم، ومجوسي متسامح يؤمن بإله أعلى للبشر يريد الخير لكل إنسان، والحكاية هي " جاء في الخبر أن رجلين تصاحبا في بعض الأسفار، أحدهما مجوسي ، والآخر يهودي، ... إذ قال المجوسي لليهودي : ما مذهبك واعتقادك يا خوشاك ؟ قال اليهودي : اعتقادي أن في هذه السماء إلهاً هو إله بني إسرائيل وأنا عبده، واسأله وأطلب إليه ومنه سعة الرزق وطول العمر... وأريد منه الخير لنفسي ولمن يوافقني في ديني ومذهبي، ولا أفكر فيمن يخالفني في ديني ومذهبي، فحلال لي دمه وماله، وحرام علي نصرته أو نصيحته أو معاونته أو الرحمة أو الشفقة عليه ... ثم قال المجوسي : أما اعتقادي ورأيي فهو إني أريد الخير لنفسي ولأبناء جنسي كلهم، ولا أُريد لأحد من الخلق سوءاً، لا لمن كان على ديني ويوافقني، ولا لمن يخالفني ويُضادُّني في مذهبي، فقال اليهودي له : وان ظلمك وتعدى عليك ؟ قال: نعم، لأني اعلم أن في السماء إلهاً خبيراً فاضلاً عادلاً حكيماً عليماً لا تخفى عليه خافية في أَمر خلقه، وهو يجازي المحسنين بإحسانهم، ويكافئ المسيئين في إساءتهم [66] فقال اليهودي للمجوسي: فلست أراك تنصر مذهبك وتحقق اعتقادك. فقال المجوسي: وكيف ذلك؟ قال : لأني من أبناء جنسك ، وأنت تراني أمشي متعوباً جائعاً، وأنت راكب شبعان مترفه. قال : صدقت وماذا تريد؟ قال: أطعمني واحملني ساعة لأستريح فقد أَعييت . فنزل المجوسي عن بغلته، وفتح له سفرته، فأطعمه حتى أشبعه، ثم اركبه ومشى معه ساعة يتحدثان. فلما تمكن اليهودي من الركوب وعلم ان المجوسيَّ قد أَعيا حرَّك البغلة وسبقه، وجعل المجوسي يمشي فلا يلحقه، فناداه: ياخوشاك، قف لي وانزل فقد

أعييت . فقال له اليهودي: أليس قد أخبرتك عن مذهبي يامغا، وخبرتني عن مذهبك ونصرته وحققته، وأنا أُريد أيضا أن أنصر مذهبي وأُحقق اعتقادي، وجعل يُجري البغلة والمجوسي في أثره يعدو، ويقول: ويحك، ياخوشاك، قف لي قليلاً واحملني معك، ... وارحمني كما رحمتك . وجعل اليهودي لا يفكر في ندائه ولا يلوي عليه، حتى مضى وغاب عن بصره [67].

وعلى الرغم من كل ما تقدم لابد من الإشارة إلى ان الباحثين المعاصرين اختلفوا حول مذهب إخوان الصفاء. فقد ذهب بعضهم أمثال (ديبور، وماكدونالد، وماسينيون) إلى ان اخوان الصفاء كانوا قرامطة. وذهب البعض الآخر من أمثال الطيباوي وطه حسين إلى أنهم كانوا اسماعيلية- أما عادل العوا فيؤكد أنهم كانوا معتزلة ، ولعل الذي دفع إلى هذا التباين في الحكم هو الشبه القائم بين هذه المذاهب وبعض آراء اخوان الصفاء . ولكن يمكن القول ان مذهبهم كان مذهباً اختيارياً جامعاً لكل ما ظنوه حقاً في ما عرفوا من شرائع عصرهم ومذاهبها، ومن حكماء اليونان وعلمائها على أنهم قد راعوا في اختيارهم ما هو سائد في بيئتهم، فطغى الإسلام في عقيدتهم على الشرائع الأخرى، وطغت مذاهب الشيعة على المذاهب الأخرى. ولكنهم ما اقتصروا على الإسلام شريعة ولا على الشيعة أو احد مذاهبها مذهباً[68].

والمهم ان موقفهم من التعصب الديني واضح فإنهم يرفضون التعصب بأي شكل من الأشكال، لأن التعصب في نظرهم يمثل حاجزاً كبيراً أمام إدراك الحقائق.

2- رؤيتهم للحقّانيّة والخلاص والنجاة:

إن أهم جانب في موضوع التعددية الدينية هو موضوع الحقانية والخلاص ، وملخص هذا الموضوع: هو أن اتباع أي دين أو أي مذهب يعتقدون بأنهم يمتلكون الحقيقة ، بل يحتكرونها، وسوف يتحقق لهم الخلاص والنجاة والسعادة في الحياة الأخرى، عند التزامهم بمعتقدات هذا الدين وتعاليمه، ولعلنا نتذكر هنا عقيدة الفرقة الناجية والتي لا يزال الاعتقاد بها والإيمان بمضمونها راسخاً لدى الغالبية الكبرى من المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وان التعددية تقوم على فكرة ان الحق في كل الأديان موجود والنجاة تتحقق عبر جميع الأديان، فلا يوجد دين واحد بعينه يحتكر الحقيقة والخلاص، وان كل دين يمتلك جزءاً من الحقيقة، ولا يوجد دين واحد يحتكرها، وان التعددية عدلت من مفهوم النجاة، الذي كان يعني في الماضي حصر الخلاص في طائفة دينية واحدة، بحيث صار أكثر شمولاً واتساعاً ليشمل أكثرية أبناء الديانات والمذاهب، وبالتالي ترفض احتكار الجنة لصالح جماعة أو فئة خاصة، يقول (جون هيك) في هذا الصدد : ان التعددية تسمح تقريباً لأي كان أن يدخل الجنة، بصرف النظر عن العرق واللون والمعتقد شريطة ان يجتاز الشخص مرحلة العبور أو الانتقال من مركزية الذات إلى مركزية الحقيقة [69] ، ويقول عبد الكريم سروش " كل فرقة كانت ترى على الدوام أنها هي على الحق فيما الآخرون على باطل، وبهذا المقدار ليس من الممكن تقبل مفاهيم من قبيل إننا على حق وهداية، وإننا أهل الجنة، وأصحابها، فيما سوء حظ الآخرين جعلهم على باطل وصيرهم أهل ضلالة وزيغ..."[70].

أ- الحقانية:

لا يدعي إخوان الصفاء الحقيقة المطلقة ولا يعتقدون ان المذاهب الأخرى ضلالٌ وبعدٌ عن جادة الحق، قد يكون الإسلام بالنسبة لهم أفضل الطرق الموصلة إلى الله سبحانه وأقصرها، ولكنه ليس الطريق الوحيد المقبول، وقد عرضت له الشبهات مثلما عرضت للأديان الأخرى ، بسبب من التعصب وضيق الأفق والوقوف عند حرفية النص المقدس.

ومن هنا جاء قولهم ((فاعلم أن الحق في كل دين موجود،وعلى كل لسان جار، وان الشبهة دخولها على كل إنسان جائز ممكن فاجتهد ياأخي ان تبين الحق لكل صاحب دين ومذهب، مما هو في يده، أو مما هو متمسك به، وتكشف عنه الشبهة التي دخلت عليه، ولا تمسك بما أنت عليه من دينك ومذهبك، واطلب خيراً منه، فإن وجدت فلا يسعك الوقوف على الأدون، ولكن واجب عليك الأخذ بالأخير الأفضل، والانتقال إليه، ولا تشتغلن بذكر عيوب مذاهب الناس، ولكن انظر هل لك مذهب بلا عيب... واعلم ان الإنسان العاقل قد تخفى عليه عيوب مذهبه، كما تخفى عليه مساوئ أخلاقه... [71]، ويقولون أيضاً ((ان جميع ما نطق به الأنبياء حق وصدق لا مرية فيه...))[72].

ماذا يمكن ان نستنتج من كلام الاخوان السابق؟

1- ان قولهم ((ان الحق في كل دين موجود... وان الشبهة دخولها على كل إنسان جائز ممكن...)) ، يعني ان الحقيقة عبارة عن مجموعة من الأجزاء والعناصر التي يمكن العثور على كل واحد منها في كل دين من الأديان، فليس هناك دين جامع، وإنما مجموعة من الأديان تشتمل على حقيقة واحدة، بحيث ان كل واحد منها يشتمل

على جزء من هذه الحقيقة، ففي الإسلام يمكن العثور على قسم من هذه الحقيقة فقط ويمكن العثور على قسم آخر في المسيحية، وعلى قسم ثالث في اليهودية ورابع في عبادة الأصنام، وباختصار ليس هناك دين يمكن ان يكون جامعاً للحقائق كلها وخالصاً من الباطل كله، وكذلك ليس هناك أي دين لا يمتلك أي أسهم من الحقيقة، وأساساً ان بقاء أي دين أو توجهٍ، إنما لاشتماله على قسم وجزء من الحقيقة.

2- ان كلام الاخوان يتطابق مع ما ينادي به دعاة التعددية في الوقت الحاضر، وخاصة التأكيد على انه لا يوجد دين أو مذهب يحتكر الحقيقة وان الحق في كل دين موجود.

3- ان ما يدعو إلى الاستفهام في كلام الاخوان هو تمييزهم بين الدين الأفضل والدين الأدون. فكيف يقولون ان (الحق في كل دين موجود...) ويتكلمون عن دين أفضل ودين أدون ويدعون إلى ترك الادون والانتقال إلى الأفضل، مع تأكيدهم انه لا يوجد دين بلا عيب.

4- ان قول الاخوان ((ان الحق في كل دين موجود...)) يمكن أن ينطبق على الأديان التوحيدية قبل تحريف بعضها، باعتبارها من الله وان القرآن الكريم أكد على الحق في اليهودية والمسيحية ووجه المسلمين للإيمان بنبوة موسى وعيسى وبقية الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، لكن لا يمكن القول ان فكرة الحقانية تنطبق على المسيحية واليهودية بعد تحريفها.

فهل من المعقول ان يكون من يقول بالتوحيد على حق والذي يقول بأن الله ثالث ثلاثة على حق أيضاً، ألا يُعد ذلك تناقضاً.

5- كيف يجوز ان نقول بأن من يعبد الله الواحد الأحد على حق، ومن يدين بديانة أخرى تقوم على عبادة الشيطان على حق أيضاً، فلا يمكن القول بصحة قضيتين متناقضتين كالتوحيد والشرك، وعبادة الله وعبادة الشيطان.

ب- الخلاص والنجاة

يعتقد اخوان الصفاء ان طريق الخلاص مفتوح أمام جميع الأديان، وليس حكراً على المسلمين وحدهم، فلا يتحدثون عن دين الخلاص ولا عن الفرقة الناجية، ((فالناجي في الآخرة من كان جامعاً لفضائل الأمم والأديان كلها)) [73]، وعندما يذكر الاخوان العابدين التائبين لا يشيرون إلى المساجد وحدها، كأماكن للعبادة، وإنما يشيرون إلى الهياكل والمساجد والبيع، أي إلى أماكن العبادة لدى جميع الأديان ومن ذلك قولهم ((إن أحق النفوس الإنسانية ان تنتقل إلى رتبة الملائكة، هي النفوس المتعوبة في التعبد ، المنقادة لاحكام الشريعة، الخادمة في الهياكل والمساجد والبيع، والصلوات والصوم والقرابين والدعاء والتأله [74]، وكما ذكر الله تعالى بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ﴾ [75]. ان هذه الآية التي يستشهد بها الاخوان هنا واضحة الدلالة، فأهل الأديان السماوية، وكل من آمن بالله واليوم الآخر، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وإن ما يميز مذهب اخوان الصفاء عن كثير من مذاهب الخلاص، هو تركيزهم على ان النجاة التي يسعون إليها لا تتحقق إلا بالجهد الجمعي المشترك، وتعاون الأفراد مع بعضهم على تحقيقها، فكما أن البشر محتاجون للتعاون في شؤون دنياهم، كذلك هم محتاجون إليه في شؤون آخرتهم .

يقول الاخوان: اعلم ياأخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، انه ينبغي لك أن تتيقن بأنك لا تقدر أن تنجو وحدك مما وقعت من محنة هذه الدنيا وآفاتها بالجناية التي كانت من أبينا آدم عليه السلام ، لأنك محتاج في نجاتك وتخلصك من هذه الدنيا... والصعود إلى عالم الأفلاك... إلى معاونة اخوان لك نصحاء وأصدقاء لك فضلاء ، متبصرين بأمر الدين علماء بحقائق الأمور، ليُعرفوك طرائق الآخرة وكيفية الوصول إليها، والنجاة من الورطة التي وقعنا فيها كلنا بجناية أبينا آدم عليه السلام ... (76).

ومما يلاحظ هناك ان الاخوان لا يقولون بأن الخلاص هو لاتباع الدين الإسلامي فقط، وان جميع أتباع الأديان الأخرى هم في الجحيم، أو أنهم محرمون من أي نصيب من السعادة.

فإذا كان المُبشر أو المبلغ المسيحي يقول في مواعظه : انه لا سبيل إلى الجنة سوى سبيل واحد فقط، وان هذا السبيل لا يمكن العثور عليه إلا في التعاليم المسيحية، أو كما يقول أوغسطين ((لا خلاص خارج الكنيسة)) (77)، فان الاخوان يقولون ((الناجي في الآخرة من كان جامعاً لفضائل الأمم والأديان كلها))(78).

وكما يقول جون هيك ((من المستحيل القول بأن فرصة الخلاص قد منحت لهؤلاء الذين ولدوا في بلاد معينة وفي فترة معينة من التاريخ ، فهذه الفكرة ليست دينية، ولا يمكن دعمها أخلاقياً)) (79).

المصادر والهوامش

(1) حيدر حب الله، التعددية الدينية ، نظرة في المذهب البلورالي – بيروت– دار الغدير، ط1، 2001، ص19. وأيضاً موسوعة لالاند الفلسفية، مج2، منشورات عويدات ، بيروت، ط2، 2001، ص991.

(2) عبد الكريم سروش، الصراطات المستقيمة ، ترجمة احمد القبانجي ، الانتشار العربي، بيروت، ط 1، 2009، ص15 وأيضاً جعفر سبحاني، الرسائل والمقالات، ج 2، قم، ط 1، 1420– 1421هجرية، مؤسسة الإمام الصادق، ص289– 290.

(3) حسن عز الدين بحر العلوم، التعددية الدينية في الفكر الإسلامي، العارف للمطبوعات، بيروت، ط 1، 2011، ص34 وأيضاً علي القريشي، المسلمون والاخر/ حوار لا صدام ، الرباط المغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ص10.

(4) مصباح يزدي، التعددية الدينية، مقالة ضمن كتاب بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة، دار الهادي، بيروت، ط1، 2002م، ص 3 وأيضاً جعفر سبحاني، الرسائل والمقالات، ج 2، ص 290 وحيدر حب الله ، التعددية الدينية، ص20– 21.

(5) سورة النحل، الآية 125.

(6) سورة الكهف، الآية 29.

(7) سورة البقرة، الآية 256.

(8) جمال البنا، التعددية في مجتمع إسلامي، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، 2001، ص10– 15 وحسن بحر العلوم، المصدر السابق، ص55 وغالب الشابندر، القرآن والآخر، بغداد، 2005، ص56– 66.

(9) نقلاً عن عبد الكريم سروش، الصراطات المستقيمة، ص 7 وأيضاً حنا الفاخوري وخليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، بيروت، ج1، ط3، 1993، ص321.

(10) عبد الكريم سروش، الصراطات المستقيمة، ص 7 وحيدر حب الله، المصدر السابق، ص 26 وغالب الشابندر، المصدر السابق، ص65– 66.

(11) مصباح يزدي، المصدر السابق، ص4– 11 وحيدر حب الله، المصدر السابق، ص26– 34.

(12) اخوان الصفاء، الرسائل،دار صادر، بيروت، ج3، ص486، 392، 454.

(13) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط 1، 1306هـ، مج9، ص307 وأيضا مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت، ج 1، ص307 وأيضا محمد بن أبي بكر عبد القادر الجزائري:مختار الصحاح، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 1، 2007، ص136.

(14) اخوان الصفاء، الرسائل، ج3، ص392، 454.

(15) المصدر نفسه، ح3، ص486.

(16) المصدر نفسه، ج1، ص452.

(17) د. وجيه قانصو: ماهو الدين؟ بحث منشور ضمن كتاب (الدين في التصورات الاسلامية المسيحية)، دار المعارف الحكيمة، بيروت، 2010، ط1، ص39 وايضا الاب غابي هاشم، الايمان والدين والاعتقاد، بحث منشور ضمن كتاب (الدين في التصورات الاسلامية)، ص67.

(18) اخوان الصفاء، الرسائل، ج3، ص453.

(19)المصدر نفسه، ج3، ص392، ج4، ص65، ج1، ص336.

(20)المصدر نفسه، ج3، ص65.

(21)المصدر نفسه، ج4، ص66.

(22)المصدر نفسه، ج4، ص44.

(23)المصدر نفسه، ج4، ص180.

[24] سورة الشورى، الآية (42).

[25] سورة المائدة، الآية (48).

[26] سورة الجاثية، الآية (18).

[27] اخوان الصفاء، الرسائل، ج3، ص486– 487.

[28] المصدر نفسه، ج3، ص488.

[29] د. عادل العوا، حقيقة اخوان الصفاء، دمشق، 1993، ط1، ص262.

[30] جعفر سبحاني، الرسائل والمقالات، ج 2، ص295، وأيضا حسن بحر العلوم، التعددية الدينية في الفكر الاسلامي، ص87.

[31] سورة المائدة، الآية (73).

[32] سورة النساء، الآية (57).

[33] سورة المائدة، الآية(116).

[34] سورة آل عمران، الآية (64).

[35]سورة آل عمران، الآية (84).

[36]سورة آل عمران، الآية (19).

[37] صادق لاريجاني، عن مفهوم التعددية الدينية، بحث في كثرة الأديان ، شبكة الفكر al feker. Net (مدونة سفيد) ص28- 30 وأيضا جعفر سبحاني، الرسائل والمقالات، ج2، ص295، ص321.

[38] رسائل اخوان الصفاء، ج3، ص487– 488.

[39]سورة الشورى، الاية 42.

[40]رسائل اخوان الصفا، ج3، ص484– 485.

[41]المصدر نفسه، ج3، ص152– 153.

[42]المصدر نفسه.

[43]المصدر نفسه، ص166.

[44]المصدر نفسه، ج3، ص490– 491.

[45]المصدر نفسه.

[46]فراس السواح، طريق اخوان الصفاء، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2008، ص227.

[47]أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص200.

[48]يوحنا قمير، اخوان الصفاء، دار المشرق، بيروت، 1986، ص16 وأيضاً فؤاد معصوم ، اخوان الصفاء، دار المدى للثقافة، دمشق، ط3، 2008، ص288– 289.

[49]رسائل اخوان الصفاء، ج 4 ، ص41– 42 وأيضاً د. وجيه احمد عبدالله، الوجود عند اخوان الصفاء، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989، ص61– 62 وفؤاد معصوم، المصدر السابق، ص288– 289.

[50]اخوان الصفا، الرسالة الجامعة، تحقيق: د. مصطفى غالب، بيروت، دار الاندلس، د.ت، ص541.

[51]رسائل اخوان الصفاء، ج4، ص18– 19 والرسالة الجامعة ص516– 517.

[52]رسائل اخوان الصفاء، ج 1، ص217.

[53]احمد علي زهرة، اخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار نينوى، دمشق، ط 1، 2004، ص118– 119 وفراس السواح، المصدر السابق، ص20.

[54]رسائل اخوان الصفاء، ج 3، ص376.

[55]المصدر نفسه، ج4، ص167.

[56] المصدر نفسه، ج3، ص484.

[57] وجيه قانصو، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2007، ص49.

[58] المصدر نفسه، ص60 وان المقصود بالعقيدة البطليمية : هي ان المسيحية مركز ومحور للحقيقة الدينية ، مثلما الارض هي محور حركة الكواكب عند بطليموس، والتي نقضها كوبر نيكوس الذي ذهب إلى ان الشمس هي المركز والمحور.

[59] رسائل اخوان الصفاء، ج4، ص51– 52.

[60] المصدر نفسه، وأيضاً الرسالة الجامعة، ص540– 541.

[61] رسائل اخوان الصفاء، ج4، ص66.

[62] المصدر نفسه، ج 3، ص501.

[63] المصدر نفسه، ج4، ص44.

[64] المصدر نفسه ، ج 3، ص160– 161.

[65] المصدر نفسه، ج 3، ص162.

[66] المصدر نفسه، ج1، ص308– 309. والحكاية طويلة يمكن مراجعة الرسائل حول تفاصيلها.

[67] يوحنا قمير: ص16– 17، وأيضا فراس السواح، المصدر السابق، ص236و 262.

[68] د. محمد ليغنهاوزن، الاسلام والتعددية الدينية، ترجمة: مختار الاسدي، دار الهدي ، ايران، قم، ط 1، 2000، ص48.

[69] عبد الكريم سروش، الطرق المستقيمة ، قراءة في التعددية الدينية ، مقالة ضمن كتاب بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة، دار الهادي، ط1، 2000م، ص22.

[70] رسائل اخوان الصفاء، ج3، ص501.

[71] المصدر نفسه، ج1، ص87.

[72] المصدر نفسه ، ج 4، ص361.

[73] المصدر نفسه، ج4، ص120– 121.

[74] المصدر نفسه.

[75] سورة البقرة، الآية 62.

[76] رسائل اخوان الصفاء، ج1، ص99– 100.

[77] وجيه قانصو، التعددية الدينية عند جون هيك، ص52.

[78] رسائل اخوان الصفاء، ج4،ص 361.

[79] وجيه قانصو، التعددية الدينية عند جون هيك، ص16.